

نريد في هذا الفصل إذن أن نناقش نظرية الدكتور زكي مبارك في اعتبار القرآن الكريم صورة من صور النثر الجاهلي ، وفي دلالة على نشأة النثر العربي قبل الإسلام ، وما يتصل بذلك من آراء تتعلق بالفترة الأدبية الأخيرة من العصر الجاهلي واشتمالها على عصر البعثة النبوية أو انحسارها عنه . ولكننا قبل ذلك ينبغي أن نعرف كيف بدت عند الدكتور زكي مبارك صورة النثر العربي في الجاهلية في خطوطها العامة ، وهي الصورة التي ألقاها إلى فكرته وتميخض عنها رأيه ، فقد كان من الطبيعي أن ينظر الكاتب في الآثار النثرية التي نسبت إلى الجاهلية ، ولكنه يرى أن « أكثر ما نسب إلى الجاهليين غير صحيح » و « أن ما نقله الرواة من النصوص لا يكفي لتعيين أساليب النثر في العصر الجاهلي وبيان الاتجاهات العقلية التي كان يرمي إليها الكاتبون إذ ذلك ، وهو على قائمه مما وضع في العصر الأموي وصدر العصر العباسي لأغراض دينية وسياسية ، وهو لهذا لا يعين مدرسة نثرية ، ولا مذهباً اجتماعياً ، ولا رأياً عاماً ، وإنما يعين أذواق وأصبعيه ومذاهبهم السياسية واتجاهاتهم الدينية » . وعلى ذلك « فان شواهد ذلك النثر ليست صحيحة لأنها في جملتها من صنع الرواة » (١) .

---

(١) المرجع السابق ص ٣٩ ، ٤٢ .